التدوين وصيرورته في العراق القديم وتاريخ استكشافاته

المدرس الدكتور لمياء محمدعلي كاظم
جامعة المثنى – كلية التربية للعلوم الانسانية
الايميل : lmaya2014dr@gmail.com

Blogging and its process in ancient Iraq and the history of its explorations

D. Lamyaa MohammedAli Kadhim
Al-Muthanna University – College of Education for Human Sciences.

الملخّص :

يعد التدوين من الاكتشافاتالتي غيرت وجه التاريخ ونقلت معرفتنا عن تاريخ العراق القديم من طلاسم الافتراضات في عصور ماقبل التاريخ (العصور الحجرية) إلى العصور التاريخية،وحصل ذلك في الدور المسمى الشبيه بالكتابي (Proto Literate) أو بالدور الشبيه بالتاريخي(Proto Historic) . اذ دون السومريون أول حرف في مدينة الوركاء السومرية جنوب بلاد الرافدين قبل ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد تقريباً.بعد أن استغل الانسان السومري الطبيعة في الجنوب واستعمل تربتها في صناعة الرُقم الطينية (التابليتات) التي دونَ عليها بواسطة الضغط بقطعة من القصب البردي ذي الرأس المثلث أو العظم أو الخشبة. ونتيجة استخدام مثل هذه الرأسية للقصبة أصبحت الكتابة شبيهة بالمسامير لهذا سميت الكتابة المسمارية (Cuneiform) وهي تسمية لاتينية من المصطلح ((Cuneus وتعني (مسمار) ومن (Form)وتعني (شكل). ودونَ أيضاً على الحجر والمعادن والخشب،وعُرف ذلك من خلال ماعثر عليه في المواقع الاثرية من تماثيل ومنحوتات ومسلات واختام واسطوانات وغيرها من المخلفات الاثرية التي دونت عليها.

لم يكتشف التدوينبالخط المسماري بادئ الأمربهذا الشكل، ولم يصل إلى مرحلته النهائية مباشرةً بل مرَ بمراحل عدة هي: المرحلة الصورية (Pictographic) ثم الرمزية (Ideogram)) وأخيراً المرحلة الصوتية (Phonetic).أما الاتجاه الذي دون به فقد كان من الأعلى إلى الأسفل ثم أصبح يُكتب من اليسار إلى اليمين.

أما كيفية حل الخط المسماري فقد دامت خطوات ذلك فترة طويلة من الزمن بذل فيها العديد من الرحالة والهواة وعلماء الآثار الأجانب الجهود المضنية لمعرفة أسرارها وكيفية قراءتها. وكنتيجة لهذا الاكتشاف أُعلن علم الآشوريات كعلم يُدرس في المعاهد والجامعات العالمية. ويمكن الاستفادة من التدوين بهذا الخط للتسويق السياحي في وقتنا الحالي.

الكلمات الافتتاحية: الكتابة المسمارية، الدور الشبيه بالتاريخي، المرحلة الصورية، المرحلة الرمزية، المرحلة الصوتية، مقاطع، الرُقيم الطيني، علم الآشوريات.

Abstract:

Blogging is one of the discoveries that changed the face of history and transferred our knowledge of the history of ancient Iraq from the talismans of assumptions in prehistoric times (the stone ages) to the historical ages

This happened in the so-called proto literate or the proto-historic role.

As the Sumerians wrote down the first letter in the Sumerian city of Warka, in southern Mesopotamia, approximately 3500 BC. After the Sumerian man took advantage of nature in the south and used its soil to make the clay figure (tablet), which he wrote on it by pressing a piece of papyrus reed with a triangular head, bone or wood. As a result of the use of such a head for the reed, the writing became like nails, so the writing was called cuneiform, which is a Latin designation from the term (cuneus) meaning (nail) and (form) meaning (form.(

The cuneiform notation was not initially discovered in this way, and it did not reach its final stage directly, but rather went through several stages: the pictographic stage, then the symbolic Ideogram, and finally the phonetic stage. As for the direction in which it was written, it was from top to bottom, and then it became written from left to right.

As for how to solve the cuneiform line, the steps of that lasted for a long period of time in which many travelers, amateurs and foreign archaeologists made strenuous efforts to find out their secrets and how to read them. As a result of this discovery, Assyriology was declared a science taught in international institutes and universities. Blogging in this line can be used for tourism marketing today.

Open Words : Cuneiform, Proto Historic, Pictographic, Ideogram ,Phonetic, Syllables, tablet Assyriology

المبحث الأول: بدايات التدوين

حفل تأريخ العراق القديم بالكثير من الإنجازات الثقافية والعلمية جعلته في طليعة بلدان العالم القديم وتميز بحضارته الأصيلة والمتواصلة باعتباره الينبوع الذي لا ينضب للعطاء في كل مجالات الحياة لرفد الحضارة الإنسانية بمبتكرات حضارية ومفاهيم فكرية جديدة[١]. اذ عدت حضارة بلاد الرافدين من أعظم الحضارات وأعرقها في تأريخ العالم القديم كونها سفراً حافلاً بالمنجزات التي حققها السلف في كافة مجالات صنوف المعرفة[٢]فكثير من النتاجات الفكرية والمادية التي تنعم بها البشرية في يومنا هذا يعود في أصوله إلى تلك العصور الرائدة، ومن هذه الاختراعات التدوين الذي نُقلت البشرية بواسطتهمن عصور ماقبل التأريخ (العصور الحجرية) إلى العصور التاريخية[٣]. اذ كسر العراقيون القدماء بواسطته طوق الزمان والمكان من خلال تدوين ما يجول بخاطرهم من أفكار وتثبيت ما لديهم من علوم ومعارف توصلوا إليها من خلال ممارستهم التطبيقية فكان التدوينبالخط المسماري أشبه بالقارب الذي انتقلت بوساطته جميع تلك العلوم والمعارف إلى الأجيال التالية والى أماكن أخرى غير بلاد سومر وأكد[٤]، اذ كان أعظم اختراع حصل في الدور المسمى الشبيه بالكتابي (Proto Literate) أو الشبيه بالتاريخي (Proto Historic)وهي التسمية التي أطلقها جماعة من الباحثين من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو على طور الوركاء الأخير الطبقتان (٤,٥) وعلى دور جمدة نصر الطبقتان(٢,٣) من الوركاء وأضيف حديثاً إلى هذين الدورين عصر فجر السلالات الأول أي في حدود ٣٥٠٠-٢٨٠٠ق.م[٥].

يرجع الفضل في اكتشاف التدوين إلى (السومريين) الذينابتدعواهذهالوسيلةفي القسم الجنوبي من العراق القديم[٦]. وعده بعض الباحثين منالنماذج القديمة المعروفة حتى الآن،اذ لم يُعرف التدوين في بلاد اليونان حتى القرن السابع قبل الميلاد وفي شمال أوربا حتى القرن الأول قبل الميلاد[٧]. ونظام التدوين الذي اطلق عليه بالكتابة المسمارية هو من صميم حضارة بلاد الرافدين ويمثل أهم تأثير في العالم القديم المحيط به، اذ عُثر في مدينة الوركاء(في محافظة المثنى جنوب العراق حالياً) على رموز تصويرية كُتبت على ألواح طينية (تابليتات)[٨]تضم أكثر من ألف لوح طيني صغير منقوش عليه كتابات اقتصادية وإدارية[٩]. ولم يُعد دور الوركاء الرابع الذي ظهرت فيه الكتابة الصورية

(pictographic) بداية العصر التاريخي بل عُد ضمن العصر الشبيه بالتاريخي وذلك لان الكتابة في هذا العصر كانت صورية اقتصر استعمالها على تدوين أشياء بسيطة مادية كواردات المعبد وأملاكه من الحيوانات ولم تدون بها نصوص تاريخية ولا شؤون الحياة العامة ولا الشؤون الدينية[١٠].

المبحث الثاني: المواد التي استخدمت للتدوين

لما كان الورق غير معروف حينذاك والصخور نادرة وصلبة لايمكن النقش عليها بسهولة [١١]. فقد استخدم السومريون الطين كمادة للتدوين عليها اذمثلت لديهم أجود مادة كتابية خصوصاً حينما يشوى بالنار ويصبح صلباً،وكان عبارة عن مادة رخيصة تدوم لمدة طويلة[١٢]. ولم يكن الطين المادة الوحيدة التي صُنعت منها الواح التدوين وإنما هناك مواد أخرى استُعملت بدرجات متفاوتة وفي عصور مختلفة لهذا الغرض كالحجر الذي اكتشفت منه ألواح كثيرة اذ استعمل الآشوريون الحجر على نطاق واسع في تدوين كتاباتهم عليه، واستعملت المعادن كذلك وعلى وجه التحديد الذهب والفضة والبرونز، إضافة إلى الخشب الذي لم تحفظ منه نماذج بسبب تعرضه للتحلل[١٣].

استخدم العراقيون القدماء القلم المثلث الرأس لطبع العلامات الصورية على الطين وبسبب كون رأس القلم مثلث الشكل فظهر الخط على شكل مسامير ولهذا سمي هذا النوع من التدوين بالكتابة المسمارية(cuneiform)المأخوذة من المصطلح اللاتيني (Cuneus) وتعني (مسمار) ومن (Form) وتعني (شكل)[١٤]. وكذلك أطلق عليها تسمية الكتابة الاوركائية[١٥].

كان البردي النبات الذي استخدم لعمل الأقلام للتدوين على ألواح الطين وكان شكل هذه الألواح المعروفة بـ (الرُقم الطينية) يختلف عن بعضه،اذ كانت القطع الأولى على شكل بيضوي ودائري تقريباً بينما (الرُقم الطينية) المتأخرة مستطيلة الشكل بصورة عامة. أما الحجم فأكثرها ذات حجم صغير يمكن مسكها باليد[١٦]. وكانت عملية التدوين بحد ذاتها جد بسيطة اذ كان الكاتب يتناول كتلة من الطين الجيد ويشكلها على هيئة شكل صغير ناعم مربع أو مستطيل طول ضلعه سنتمترات قليلة وبواسطة الحافة المائلة لقصبة البردي يقوم برسم خطوط تقسم إلى مربعات ثم يملأ كل مربع برسومه المنقوشة وبعد ذلك إما يشوى هذا الرُقيم بالنارأو يترك بدون شوي.وكان لاستخدام الطين

إيجابيات كثيرة أهمها انه لا يبلى ويقاوم الحرارة والبرودة والحرائق والأمطار ويبقى لسنين طويلة دون أن تتأثر الالواح المصنوعة منه خاصة المحروقة، إلا إن بعض تلك الألواح كانت كذلك معرضة للتكسر والتحطم، كما كانت ثقيلة الوزن لهذا يصعب استخدام ألواح كبيرة منها فجاءت الكتابات المدونة مختزلة واحجام الرُقم الطينية صغيرة(١٨).

المبحث الثالث: ظهور ومراحل تطور التدوين

هناك افتراض عام يعتقد بأن الحاجة إلى تدوين الجانب الاقتصادي بدلاً من الاعتماد على الذاكرة هو سبب اختراع الكتابة وجاء ذلك بعد اتساع المدن وازدياد الأعمال بعد ظهور المعابد واستلامها للقرابين والنذور وصرفها لتلبية الاحتياجات اليومية وأتساع هذه العملية فلم تعد الذاكرة تفي بالغرض لذا اقتضت الحاجة إلى التوثيق باستعمال الكتابة الصورية(١٩)، إذن فأن الابتكارات التي توصل إليها المبدعون من البشر تتوقف عادة على ظهور الحاجة لتلك الابتكارات.ومن الفرضيات الأخرى لدى الباحثين عن سبب اختراع التدوين هو اتساع نطاق التجارة بين العراق القديم ومناطق الخليج العربي التي أوجدت الحاجة الملحة إلى الكتابة والتدوين وذلك بغية تسهيل العلاقات التجارية(٢٠)، وفيما بعد استخدمت الكتابة في تدوين عدة وظائف على الرُقم الطينية منها التسجيلات للأغراض الإدارية، وتسجيلات لتصنيف القوانين، وتسجيلات لصياغة التقليد الديني، ولتسجيلات التواريخ، وتسجيلات للأغراض العلمية وغيرها(٢١).

إن ابتداع الكتابة التي استخدمتللتدوين لم يتم في سنة محددة بشكل كامل ولكن مرت بمراحل عدة إلى إن تبلورت فكرتها، ففي المرحلة الأولى استخدم الإنسان أعداداً كبيرة من العلامات التي رسمها لتعبر عن الأشياء المراد التعبير عنها وكانت عبارة عن رسوم تفصيلية لتلك الأشياء المادية فقط وربما وضعت بعض الأرقام أمامها للدلالة على عددها وهي المرحلة التي اطلق عليها اسم الصورية (pictographic)(٢٢) اذ إن شكل الكتابة كان صورياً بحتا ولم يعرف أي من اللغات استخدمت من قبل مبتدعي هذه

الكتابة في الوركاء[٢٣]، وقد وضحت العبقرية التصويرية للسومريين في الصياغة التخطيطية لهذه الصور اذ كانت لديهم الموهبة في أفراد كل ما هو ضروري في كل مادة ورسمه بضربات قليلة صائبة[٢٤].

ثم كانت المرحلة الثانية في الكتابة وهي المرحلة الرمزية (Ideogram)اذ اهتدى الكاتب العراقي إلى ابتكار هذه الطريقة لكي يتمكن بواسطتها من تدوين الأفكار والأشياء المعنوية وذلك برسم صور لها بهيئة مختصرة فأصبحت العلامات لا تعبر عن الشيء الذي تصوره فقط بل تعبر عن أفكار ذات صلة بما تمثله تلك العلامة أو بعبارة أخرى استخدام الكاتب قيماً جديدة لعلامات كانت قائمة سابقا مصدرها أفكار تتعلق بالمعنى الأصلي للشيء ذاته، فمثلا أصبحت صورة القدم لا تستخدم لتدوين القدم أو الساق بل اتخذت لها معان جديدة مستمدة من معناها الأصلي مثل (ذهب، وقف، مشى، قام، أتى، ...الخ) وصارت صورة الشمس تعبر أيضاً عن المعاني المشتقة منها كالضوء والحرارة والنهار.كما قاموا بدمج علامتين أو أكثر مثلاً إذا أراد الكاتب التعبير عن الفعل (أكل) رسم صورة الفم وبداخله قطعة من الخبز.وبجمع المرحلتين الصورية والرمزية صار بالإمكان التعبير عن معان وجمل كثيرة ولكن بقيت الكتابة ناقصة بسبب استحالة التعبير بهذه الطريقة عن مختلف شؤون الحياة[٢٥].

أما المرحلة الثالثة التي مرت بها الكتابة فتسمى بالمرحلة الصوتية (phonetic) أي اتخاذ أصوات العلامات المسمارية على هيئة مقاطع (Syllables) لكتابة الجمل والمفردات المختلفة بتقطيعها إلى مقاطعها الصوتية.وظلت طريقة التدوين بالخط المسماري خليطة من الكتابة الرمزية والصوتية المقطعية[٢٦].

فيما يخص اتجاه الكتابة التي استخدمت في التدوين فإنها كانت بالأصل تكتب من الأعلى إلى الأسفل ثم أصبحت تكتب من اليسار إلى اليمين أي عكس الخط العربي[٢٧]. ويُجمع الباحثون إن السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة المسمارية واقتبسها منهم الاكديون والبابليون والآشوريون وانتشر الخط المسماري إلى عدة أقطار مجاورة مثل بلاد عيلام (الجزء الجنوبي من إيران أي ما يسمى حالياً عربستان أو الأهواز)، واقتبسه الحيثيون وانتشر إلى بلاد الشام كما إن الاخمينيين اشتقوا منها شكلا من الكتابة الشبيهة بالهجائية ودونوا فيه مآثرهم. وأحدث الاكديونبعض التغيرات في

الخط المسماري الذي اقتبسوه من السومريين لتلائم تدوين لغتهم التي لم تكن لها أية صلة باللغة السومرية. واستعملت هذه الكتابة وباللغة الاكدية في المراسلات الدبلوماسية بين حضارات الشرق الأدنى القديم[٢٨]، في الألف الثاني قبل الميلاد اذ وجد مئات الألواح الطينية في العمارنة المصرية التي تشهد على انتشار المراسلات بالخط المسماري، واستعار حوريو مملكة ميتاني شمال بلاد الرافدين مقاطع من العلامات ليكتبوا لغتهم الخاصة، وكذلك قام بالعمل ذاته سكان مملكة اورارتو في أرمينيا طيلة قرون بعد ذلك[٢٩].

لقد غير التدوين بالكتابة حياة الانسان جذرياً حتى اعتقد القدماء من السومريين بأن مصدرها الهي وعدوها " أباً واماً للبشر" على حد تعبير أحد أقوالهم المأثورة[٣٠]. وعُرف عن طريقها الشيء الكثير بعد حل رموزها كما أسلفنا، ومازال باقياً في لغتنا العديد من الكلمات الى يومنا هذا ومنها أسماء بعض المهن مثل (نك-كار) بمعنى نجار، وأسماء بعض الحيوانات وغيرها. كما دونت الأرقام في الحضارة السومرية بالاستناد على الرقم ٦٠ الذي يُعرف بالنظام الستيني[٣١]. ورغم ان عدد العلامات المسمارية التي كانت مستخدمة في تدوين أقدم النصوص التي جاءت من الوركاء ويعود تأريخها الى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد بلغ حوالي ١٠٠٠ علامة. وحسب رأي بعض الباحثين في هذا المجال ان عدد العلامات المسمارية التي استخدمت خلال تلك الفترة في جميع المناطق السومرية يُخمن بـ ٢٠٠٠ علامة تقريباً، وهذا العدد الكبير قد اختصر في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد الى ٨٠٠ علامة، وبعد قرن من هذا التاريخ اختصر الى ٦٠٠ علامة، وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد اختصر الى ٥٠٠ علامة. ومما تجدر الإشارة اليه هو ان اللغة الاكدية التي دونت الخط المسماري السومري استطاعت ان تكتفي بعدد ضئيل من العلامات المسمارية[٣٢]. ولصعوبة التدوينبالكتابة المسمارية لكثرة عدد علاماتها الصورية والرمزية وتعدد قيمها الصوتية واستخدامها للعلامات الدالة والنهايات الصوتية التي كانت تُكتب ولا تقرأ وتساعد على فهم النص فقط، فقد كان على المتعلمين الالتحاق بالمدرسة لتعلم القراءة والكتابة لمدة سنوات طويلة وبعد ان يتمكنوا من اتقانها يبدأون بدراساتهم للعلوم الأخرى أو يعملون كتاباً يدونوا لبقية افراد المجتمع مايحتاجون من عقود ورسائل وغيرها[٣٣].

المبحث الرابع: كيفية حل رموز الخط المسماري المستخدم للتدوين

ان أقدم الألواح المدونة بالكتابة ظهرت في مدينة الوركاء (اوروك)[34]وهي من المدن العراقية الضاربة في القدم يرجع زمن تأسيسها إلى فجر عهد السكنى أي إلى الألف الخامس قبل الميلاد وتقع أطلال الوركاء[35]في منطقة صحراوية قرب السماوة[36]. وخلف لنا العراقيون القدماء الآلاف من النصوص المسمارية المدونة على ألواح الطين والحجر وغيرها من المواد وجدت مطمورة تحت التلول الأثرية وعندما تم اكتشافها في القرن الماضي من العصر الحديث عكف الباحثون الغربيون على دراستها وحل رموزها إلى أن تم لهم ذلك[٣٧]. فقصة حل رموز الخط المسماريالذي استخدم للتدوين في العراق القديم هي قصة واحد من أروع الاكتشافات العلمية في القرنين الأخيرين من الألفية الثانية بعد الميلاد فالجهود الحثيثة التي بذلت في حل رموز هذه الكتابة فتحت لنا نافذة رحبة للتعرف على تجربة حضارية هائلة[38]، وتبدأ القصة عندما زار العراق في مطلع القرن السابع عشر نبيل إيطالي اسمه (بترو ديلا فالة) Pietro Della Valle فزار بقايا بابل (١٦١٦م) وبقايا (أور) عام (١٦٢٥م) وزار المدينة الفارسية القديمة برسيبولس (اصطخر حالياً) وجلب منها أولى النماذج من الخط المسماري، كما أخذ معه آجراً مختوماً بهذا الخط من (بابل) و(اور)[39].وجاء في رسالة له مؤرخة في ٢١/تشرين الأول/١٦٢١م ذكر فيها بأنه استنسخ خمس علامات مسمارية وتوصل إلى إن تلك الكتابات تقرأ من اليسار إلى اليمين وكان مصيباً في ذلك.وتعد الطابوقات التي أخذها معه اولى النماذج من الكتابات المسمارية التي تصل إلى أوربا اذ حُلت رموزها بعد ذلك بحوالي قرنين من الزمان لهذا السبب تُعد رحلة (ديلا فالة) بداية لحل رموز الخط المسماري. وفي عام (١٦٧٣م) نشر الفرنسي (أندريه دوليه ديسلند) Dauli Deslande Andre اولى العلامات المسمارية من نقوش مدينة (برسيبولس)، غير إن هذا الفنان الفرنسي وضع تلك العلامات بشكل يوحي بأنها زخرفة وليست كتابة.ثم نشر البريطاني (توماس هربرت) Thomas Herbert في عام (١٦٧٧م) ثلاثة أسطر من الكتابة المسمارية.وفي عام (١٦٩٣م) استنسخ (صموئيل فلور) Samuel Flourأحد وكلاء شركة الهند الشرقية سطرين يضمان عشرين علامة كان قد اختارها من نصوص متعددة.وكان أول من أطلق تسمية المسمارية هو (توماس هايد) Tomas Hyde الذي

درس العلامات التي سبق أن استنسخها (صموئيل فلور). وشهد عام (١٧١١م) عملية نشر أول نص كامل من نصوص (برسيبولس) من قبل (جين شاردن) Gean Chardin وبعد ثلاثة أعوام نشر (كارنيلليبورم) Carreille Leborum نسخاً لثلاثة نصوص مدونة بثلاثة لغات[40]، ثم جاءت الخطوة الكبيرة عندما نشطت الأكاديميات والمؤسسات العلمية الأوربية في إرسال البعثات إلى أنحاء الشرق وكانت أول بعثة من هذا النوع البعثة الاستطلاعية المنتظمة التي أرسلها ملك الدانمارك في عامي (١٧٦١م) و(١٧٦٧م) برئاسة العالم الرياضي الدانماركي(كارستنيبور)Niebuhr Kirsten لغرض جمع المعلومات العلمية في مختلف المواضيع ومنها بقايا الماضي وآثاره فقام (نيبور) باستنساخ نماذج عديدة من الكتابات المسمارية ولاسيما من مدينة (برسيبولس) فوضع بذلك في متناول أيدي الباحثين واللغويين مادة أصلية مهمة ونشر نتائج تحرياته في عام (١٧٧٨م)[41]التي توصل فيها إلى استنتاجات مهمة جداًاذ اكتشف بأن كل نص من النصوص الثلاثة التي قام بأعداد نسخ دقيقة لها مدون بثلاث نماذج كتابيةعرفت بعد حل رموز الكتابة المسمارية بالكتابات الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية[42]. وتقدمت مراحل الكشف عن ماضي العراق القديم خطوات أخرى حينما صار المهتمون بهذا الموضوع يقيمون في العراق فترات أطول مدفوعين بذلك بالشؤون السياسية والتجارية وعمت هذه الرغبة حتى بين السياح لمدد قصيرة ممن زار البقايا الأثرية ومنهم عالم النبات الفرنسي (ميشو) Michaux الذي عثر في طيسفون (سلمان باك أو المدائن حالياً) على حجرة حدود (كدورو) منقوشة بالخط المسماري وقد باعها للمكتبة الوطنية في باريس وحاول البعض ترجمتها لكن الترجمة كانت خيالية وعجيبة[43].وفي عام (١٧٩٠م) حدثت ضجة كبيرة في أوربا عندما نشرت مذكرات (آبي بيوشام)Beauchamp Abbe باللغتين الإنكليزية والألمانية وكان قد عمل في العراق ممثلا للفاتيكان وعضواً مراسلاً لأكاديمية العلوم وهو أول من قام بحفريات في موقع مدينة بابل وأزاح الأنقاض عن أسد بابل الشهير. وقد ذكر بأنه اكتشف أثناء حفرياته اسطوانات صلدة عليها كتابات دقيقة تشبه الكتابات التي جاءت من مدينة (برسيبولس) وبهذا اتجهت الأنظار أول مرة إلى الموطن الحقيقي للكتابة المسمارية. ومع افول القرن الثامن عشر أدلى باحث دانماركي آخر بدلوه في مجال المسماريات وكان لما توصل إليه فضل كبير في التقدم خطوة أخرى تكمل ماقام

به مواطنه (كارستنيبور) ففي عام (١٧٩٨م) توصل (فريدريك مونتر) Friedrich Manter إلى ان النوع الأول من الكتابة حسب تصنيف (نيبور) كان كتابة هجائية وهو الفارسية القديمة بينما كان النوعان الثاني العيلامية والثالث البابلية يتألفان من كتابة مقطعية رمزية[44]أي إن الملوك الفرس قد استعملوا أبجديتين وثلاث لغات اذ إن الفارسية القديمة التي كانت رموزها أقل كثيراً تمثل بوضوح أفضل الفرص لفك الرموز الأخرى. وبحلول عام (١٨٠٢م) كان عالم ألماني اسمه (جورج.ف.كروتفند) Georg.F.Grotefend قد أحرز تقدماً كبيراً في هذا الاتجاه[45]، اذ إن معرفة اللغويين الأوربيين بأسرار اللغة الفارسية القديمة سهل حل رموز الخط المسماري إذ اشتق الفرس الاخمينيون خطهم المسماري من الخط البابلي مثلما فعل العيلاميون قبلهم، وبالاستعانة بأسماء الأعلام الفارسية القديمة ولا سيما أسماء الملوك المذكورة في التوراة وفي الكتابات الكلاسيكية نجح ذلك الباحث في فك قسم كبير من النص الفارسي[46].

لقد كانت نصوص برسيبولس قصيرة ولم يكن بالمستطاع إنجاز قراءتها بشكل كامل بدون توفر نصوص طويلة زاخرة بأسماء الأعلام التي تساعد على معرفة ألفاظ المقاطع وقد تحقق ذلك حين اكتشف الضابط البريطاني (هنري رولنصن) Henri Rowlinsan ذات يوم في إيران منحوتة صخرية كبيرة على جبل (بهستون) قرب منطقة كرمنشاه ومنحوتة أخرى على جبل (الوند) قرب همدان وقد نفذت هاتان المنحوتتان بأمر من الملك (دارا الاخميني) وقد واجه رولنصن صعوبة كبيرة في استنساخ النصوص المنقوشة على منحوتة جبل بهستون فهذه المنحوتة كانت في مكان يصعب الوصول إليه وعلى ارتفاع شاهق ولكن روح المغامرة التي اشتهر بها رولنصن جعلته يتدلى بحبل من قمة الجبل ليصبح أمام المنحوتة ويقوم باستنساخ[47]أطول كتابة معروفة بثلاث لغات ونجح بين عامي (١٨٣٥-١٨٣٧م) في إكمال نسخة من النصين الفارسي والعيلامي وقد عمل رولنصن وفق الخطوط نفسها التي اتبعها (كروتفند) وان لم يكن يعرف ذلك وقد استطاع عام (١٨٣٧م) ان يقدم إلى (الجمعية الآسيوية الملكية) ترجمة افتتاحية الكتابة المدونة.وكانت الخطوة المهمة فيما يخص بلاد الرافدين هي فك رموز النسخة البابلية والتي أمكن التغلب عليها عام (١٨٤٧م) عندما كان رولنصن مقيماً في بغداد اذ كان ممثلاً لشركة الهند الشرقية فقام بزيارة المنحوتة الصخرية مرة ثانية لعدم تمكنه في المرة

السابقة من استنساخ النص البابلي ولكن هذه المرة تطوع صبي كردي جرئ للقيام بالمحاولة واستطاع نقل النص على الورق بتوجيه رولنصن. وقد كان هناك علماء آخرون ومنهم (ادوارد هنكس)Edward Hinks و(يوليس اوبرت) Jules Oppert يعملون في فك الرموز في الوقت نفسه[48]إضافة إلى هنري رولنصن وسار الباحثون في خطوات منطقية أولها التخمين الصحيح بأن الخط المسماري البابلي لم يكن هجائياً بل انه مكون من مقاطع (Syllables) أي إن العلامة المسمارية الواحدة تقوم مقام حرف صحيح مع حرف علة أو حرفين صحيحين بينهما حرف علة، أما الخطوة الثانية فهي معرفة عدد لابأس به من أصوات تلك العلامات، وسرعان ما ظهرت حقيقة سهلت تقدم حل الرموز المسمارية تلك هي إن اللغة البابلية إحدى اللغات السامية المشابهة في لفظ مفرداتها ومعانيها اللغة العبرانية واللغة العربية.

واستطاع رولنصن في عام (١٨٥١م) إن ينشر النص البابلي من نقوش بهستون بخطه المسماري وبأصواته الأصلية وترجمته. وتتابعت دراسات الباحثين الآخرين وازدادت معرفتهم باللغة البابلية بخطها المسماري ومع ذلك فلم تزل الشكوك تساور الرأي العام الأوربي في صحة حل رموز ذلك الخط مما حدا بـ (الجمعية الآسيوية الملكية) في لندن أن تجري امتحاناً للباحثين فقدمت في عام (١٨٥٧م) إلى أربعة باحثين أوربيين نصاً مسمارياً يرجع إلى أحد الملوك الآشوريون وهو تجلاتبلاصر الأول(١١١٦-١٠٧٦ق.م) صادف اكتشافه في تلك الفترة. أما أولئك الباحثون فكانوا (رولنصن) و(هنكس) و(فوكس تالبوت) و(اوبرت) وطلبت من كل منهم ان يترجم ذلك النص على انفراد ولما قورنت الترجمات الأربع بعضها ببعض في جلسة رسمية لتلك الجمعية وجد ان أولئك الباحثين الأربعة كانوا متفقين في ترجماتهم بوجه أساسي فاطمأنت المحافل العلمية إلى صحة الطريقة التي اتبعت في حل رموز الخط المسماري ومنذ ذلك الحين ولد علم جديد في تأريخ المعارف البشرية أطلق عليه اسم (علم الآشوريات) Assyriology الذي صار يُدرس في معاهد الغرب وجامعاتها[49].

الاستنتاجات:

من خلال البحث المستفيض في موضوع التدوين ظهر جلياً استخلاص عدة امور منها:

- ان السومريين هم من اخترع هذا الاكتشاف الرائع في مدينة الوركاء جنوب العراق في العصر الذي أطلق عليه الباحثون اسم الدور المسمى الشبيه بالكتابي (Proto Literate) أو الشبيه بالتاريخي(Proto Historic).
- نقل التدوين العراق القديم من عصور ماقبل التاريخ (العصور الحجرية) البسيطة الى العصور التاريخية التي دون الانسان فيها مايجول في خاطره من أفكار وآداب وعلوم ومعارف ومجريات حياته اليومية، التي نقلها التدوين الى الأجيال اللاحقة والى بلدان أخرى غير بلاد الرافدين.
- يعد التدوين في العراق القديم من ضمن النماذج القديمة المعروفة حتى الآن،اذ لم يُعرف التدوين في بلاد اليونان حتى القرن السابع قبل الميلاد وفي شمال أوربا حتى القرن الأول قبل الميلاد.
- إن التدوين بالكتابة المسمارية تم اكتشافه حسب رأي الكثير من الباحثين لغرض تسجيل واردات المعبد التي أخذت تكثر نتيجة للتوسع البشري والمدني الذي حصل وعدم وسع الذاكرة البشرية لحفظ كمية هذه الواردات، والفرضية الأخرىلاستخدام التدوين تُرجع السببلتوسع الأعمال التجارية بين العراق القديم ومناطق الخليج العربي فاخترعت الكتابة لتسهيل التعاملات التجارية.
- استخدمالطين لصنع الرُقم الطينية (التابليتات) لتوفر التربة المستخدمة في صناعته ولسهولة التدوين على هذه الرُقم لطينية بواسطة القصب البردي ذو الرأس المثلثة.وكانت الرُقممختلفة في شكلها وحجمها عن بعضها البعض فمنها الدائري والبيضوي وكذلك المستطيل أو المربع.إضافة إلى استخدام الأقوام الأخرى التي جاءت بعد السومريين كالاكديين والبابليين والآشوريين الحجر والمعادن والخشب وغيرها من المواد في التدوين وعُرف ذلك من خلال التماثيل والمنحوتات والمسلات والاختام والاسطوانات الملكية وغيرها من المخلفات الاثارية التي دونت عليها.
- مراحل تطور التدوين بالخط المسماريمرَ بعدة مراحل خلال فترات زمنية ليست بالقصيرة إلى أن وصل إلى الشكل النهائي وكانت أولى هذه المراحل هي المرحلة الصورية Pictographic ثم المرحلة الرمزية Ideogramواخيراً المرحلة الصوتية

المقطعيةPhonetic. وكان اتجاه التدوين بهذا الخط من الأعلى إلى الأسفل، ثم أصبحمن اليسار إلى اليمين.

- انتشر استعمال التدوين بالخط المسماري في عدة بلدان مثل بلاد عيلام في إيران والحثيين في بلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر الفرعونية كما استعملهذا الخط في المراسلات الدبلوماسية بين حضارات الشرق الأدنى القديم.

-كان عدد علامات الكتابة المسمارية كثير جداً ورغم اختزاله بمرور الزمن لكن بقيت صعبة نوعاً ما، اذ كان على المتعلمين الذين يلتحقون بالمدرسة لتعلم القراءة والكتابة أولاً لمدة سنوات طويلة وبعدها يقومون بدراسة العلوم الأخرى، أو يعملون كتاباً يدونوا لأفراد المجتمع مايحتاجون من عقود ورسائل وغيرها.

- يعود الفضل في حل رموز الخط المسماري إلى العديد من الرحالة وهواة دراسة اللغات والتاريخ إضافة إلى الباحثين وأساتذة علم الآثار واللغات الشرقية المتخصصين في معاهد وجامعات العالم.

- ظهر علم الآشوريات الذي يُدرس في الكثير من المحافل العلمية العالمية في عصرنا الحديث نتيجة حل رموز الخط المسماري الذي دونت به مآثر العراق القديم.

- يُمكن الاستفادة من التدوين بالخط المسماري في التسويق السياحي في وقتنا الحالي.

الملاحق:

شكل (١) رسم يبين كيفية التدوين بالخط المسماري على الرُقم الطينية (التابليت)

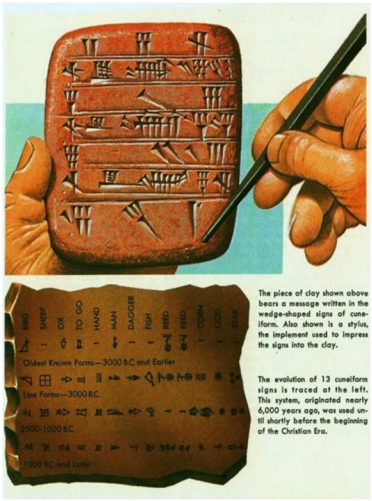

شكل (٢) رأس الأداة الخشبية التي يتم بهاالتدوين بالخط المسماري على الرُقم الطينية (التابليت)

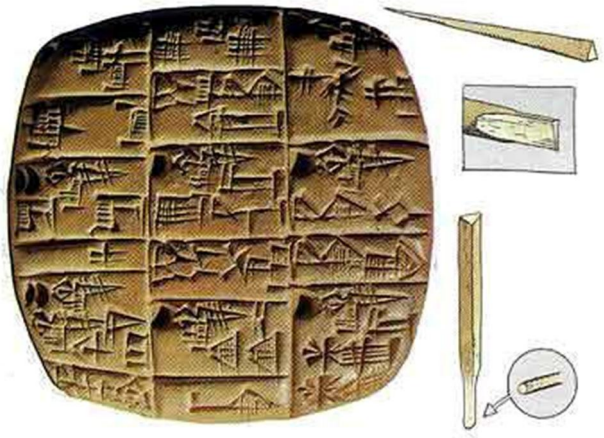

شكل (٣) الكتابة الصورية التي استُخدمت في التدوين على رُقيم طيني مربع الشكل

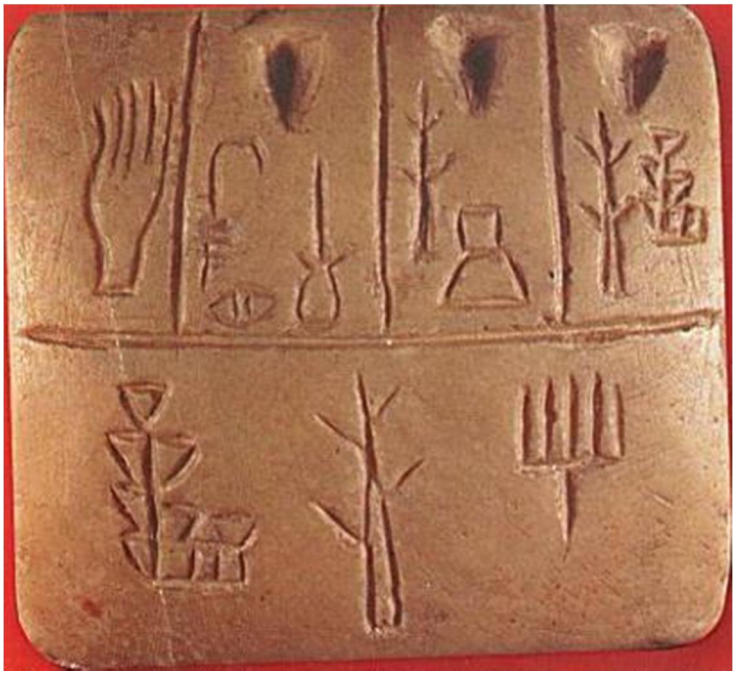

شكل (٤) مراحل تطور الخط المسماري الذي استخدم في التدوين

المعنى الأصلي أوالمشتق	الآشورية	البابلية المبكرة	الصورة وشكلها في المسمارية المتأخرة	الصورة الأصلية
ـطير				
سمكة				
حمار	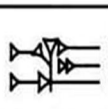			
ثور				
شمس -نهار				
حبوب				
بستان	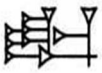			
الحراثة				
بمرنغ القذف الإسقاط				
الوقوف المشي				

شكل (٥) الكتابة المقطعية الصوتية التي استُخدمت في التدوين على رُقيم طيني مستطيل الشكل

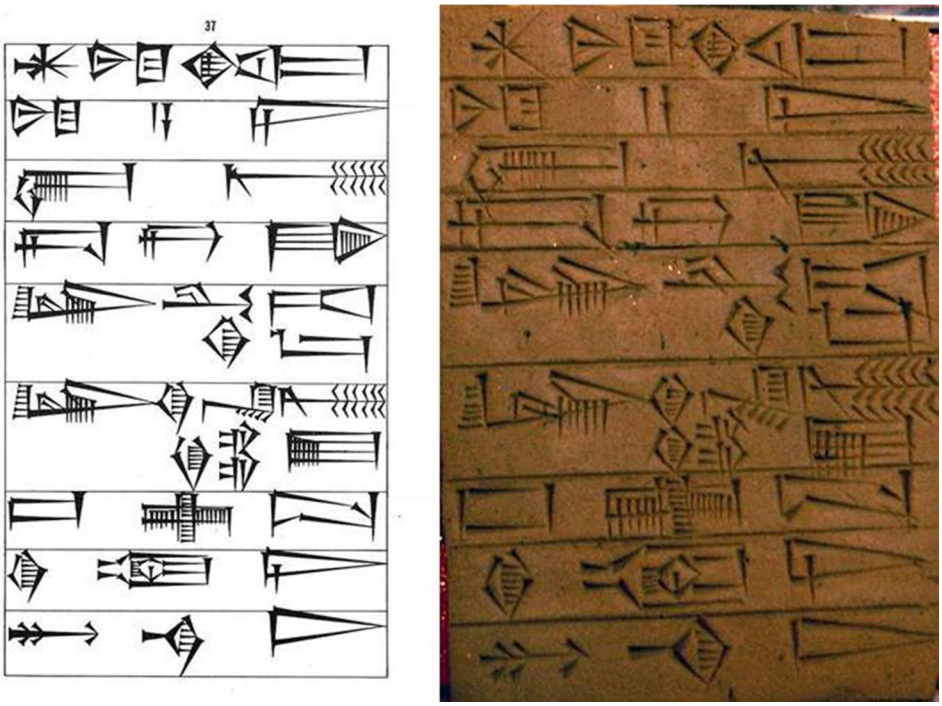

Adab Al-Kufa Journal
No. 49 /P2
Muharram 1443 / Sep 2021

ISSN Print 1994 – 8999
ISSN Online 2664-469X

مجلة آداب الكوفة
العدد :٤٩ /ج٢
محرم ١٤٤٣ هـ/ايلول ٢٠٢١م

هوامش البحث

١. فاروق ناصر الراوي، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٦٩.
٢. فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص٥.
٣. نائل حنون، المعجم المسماري معجم اللغات الاكدية والسومرية والعربية، ج١،بغداد،٢٠٠١،ص٩.
٤. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التأريخ الحضاري، ج٢، الموصل، ١٩٩٣، ص٢٦٣.
٥. طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٧٣، ص٢٣٤.
٦. جمال عبد الواسع قاسم الشرجبي، الجزريون هجراتهم ومراكز حضارتهم في بلاد وادي الرافدين حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٤، ص١٤.
٧. عامر سليمان، العراق في التأريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص٢٢٢.
٨. نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره تأريخ مصور، تر: سمير عبد الرحيم ألجلبي، بغداد، ١٩٩٢، ص٣٨.
٩. أحمد مالك الفتيان، التعليم في العراق القديم، مجلة المورد، المجلد٢٩، ع١، ٢٠٠١، ص٣٣.
١٠. طه باقر، المصدر السابق، ٢٣٥.
١١. ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة، تر:احمد عبد الباقي، القاهرة، ص٤١.
١٢. ليو أوبنهايم، بلاد مابين النهرين، تر:سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٩٢.
١٣. نائل حنون، المصدر السابق، ص٢١-ص٢٢.
١٤. فوزي رشيد، من هم السومريون، مجلة آفاق عربية،بلا.ت، ص٨٢.
١٥. جمال عبد الواسع قاسم الشرجبي، المصدر السابق، ص١٤.
١٦. هاري ساكز، عظمة بابل، تر:عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص٤٣.
١٧. جورج رو، العراق القديم، تر:حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص١١٢.
١٨. عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التأريخ الحضاري، ص٢٦٤.
١٩. نائل حنون، المصدر السابق، ص١٨.
٢٠. فوزي رشيد، المصدر السابق، ص٨١.

٢١. ليو أوبنهايم، المصدر السابق، ص٢٩٣.
٢٢. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التاريخ الحضاري، ص٢٦٣.
٢٣. هاري ساكز، المصدر السابق، ص٤٥.
٢٤. اندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، تر:عيسى سلمان و سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٧ ص١٤٣.
٢٥. بهيجة خليل اسماعيل، حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٢٣-٢٢٤.
٢٦. طه باقر وآخرون، تأريخ العراق القديم، ج٢، بغداد، ١٩٨٠، ص١٦٢.
٢٧. بهيجة خليل إسماعيل، المصدر السابق، ص٢٢٨.
٢٨. طه باقر واخرون، المصدر السابق، ص١٦٢.
٢٩. فرانسيوزةبروشفايلر، حضارة وادي الرافدين (سومر- اشور- بابل) سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة، تر: قاسم مطر التميمي، بغداد، ٢٠١٠، ص١٣٦-١٣٧.
٣٠. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التأريخ السياسي، ج١، الموصل، ٢٠١٠، ص١٠٩.
٣١. ماكس مالوان، حضارة عصر فجر السلالات في العراق. تر: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠١، ص٦٠-٦١.
٣٢. فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، دمشق، ٢٠٠٩، ص٢١.
٣٣. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التأريخ السياسي، ص١١٥.
٣٤. نائل حنون، المصدر السابق، ص١٨.
٣٥. فرج بصمةجي، الوركاء، بغداد، ١٩٦٠، ص٥.
٣٦. جورج رو، المصدر السابق، ص١٠٨.
٣٧. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التأريخ الحضاري، ص٢٦٥.
٣٨. نائل حنون، المصدر السابق، ص٣٧.
٣٩. طه باقر، المصدر السابق، ص١١٤.
٤٠. نائل حنون، المصدر السابق، ص٥١-ص٥٢.
٤١. طه باقر، المصدر السابق، ص١١٥.
٤٢. نائل حنون، المصدر السابق، ص٥٣.
٤٣. طه باقر، المصدر السابق، ص١١٥.
٤٤. نائل حنون، المصدر السابق، ص٥٣.

٤٥. نيكولاس بوستغيت، المصدر السابق، ص٣٩.
٤٦. طه باقر، المصدر السابق، ص١٢١.
٤٧. نائل حنون، المصدر السابق، ص٥٨.
٤٨. نيكولاس بوستغيت، المصدر السابق، ص٣٩.
٤٩. طه باقر، المصدر السابق، ص١٢٣.

قائمة المصادر و المراجع

١. أحمد مالك الفتيان، التعليم في العراق القديم، مجلة المورد، مج٢٩، ع١، ٢٠٠١.
٢. أندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، تر:عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد،١٩٧٧.
٣. بهيجة خليل إسماعيل، موسوعة حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥.
٤. جمال عبد الواسع قاسم الشرجبي، الجزريون هجراتهم ومراكز حضارتهم في بلاد وادي الرافدين حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٤.
٥. جورج رو، العراق القديم، تر:حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤.
٦. طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٧٣.
٧. عامر سليمان، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣.
٨. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التأريخ الحضاري، ج٢ الموصل، ١٩٩٣.
٩. عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم موجز التأريخ السياسي، ج1، الموصل، ٢٠١٠.
١٠. فاروق ناصر الراوي، موسوعة حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥.
١١. فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلي التوراة، بغداد، ١٩٨٩.
١٢. فرانسيوزةبروشفايلر، حضارة وادي الرافدين (سومر- اشور- بابل) سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة، تر: قاسم مطر التميمي، بغداد، ٢٠١٠.
١٣. فرج بصمة جي، الوركاء، بغداد، ١٩٦٠.
١٤. فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، دمشق، ٢٠٠٩.
١٥. فوزي رشيد، من هم السومريون، مجلة آفاق عربية،بلا.ع، بلا.ت.
١٦. ليو أوبنهايم، بلاد مابين النهرين، تر:سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨٦.
١٧. ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة، تر:احمد عبد الباقي، القاهرة، بلا.ت.

١٨. ماكس مالوان، حضارة عصر فجر السلالات في العراق. تر: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠١.
١٩. نائل حنون، المعجم المسماري معجم اللغات ألاكدية والسومرية والعربية، ج١، بغداد، ٢٠٠١.
٢٠. نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره تاريخ مصور، تر:سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩١.
٢١. هاري ساكز، عظمة بابل، تر:عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.